# كلمة رمضانية قصيرة لسماحة الشيخ حبيب الكاظمي
مقتبسه من محاضراته في المناسبات المختلفة)......هيئة التحرير(

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾

1. ينبغي الحذر الشديد من الحرام في مواسم الطاعة، وفي أماكن الطاعة!.. فالنظر للأجنبية في السوق شيء، وحول الكعبة شيء آخر.. والحرام في شهر رمضان شيء، وفي شهر شوال شيء آخر!.. ومن هنا فإن البعض يبتلى بقسوة قلب عجيبة في شهر رمضان، تتجلى في ليالي القدر، حيث الناس الباكية والمبتهلة، وهو يتحسر على قطرة دمعة من خشية الله.. فهذه مرتبطة بمعاصيه في ما قبل ليالي القدر المباركة.

2. إن البعض في ليالي القدر يحلق في الأجواء العالية جداً، ولكن بعد شهر رمضان ينتهي كل شيء، ويرجع إلى ما كان عليه.. في الحج يصبح وكأنه قديس، يظن المرء عندما يراه وكأنه لا يوجد من هو أقدس منه في هذه البقعة، وإذا به من اليوم الثاني يغير الهيئة الظاهرية والباطنية معاً، وهذا الأمر يتكرر في محرم وصفر.. ولكن المطلوب هو المواظبة في الخشية، وفي الاتصال بالعبودية.

3. إن من موجبات اطمئنان القلب: ذكر الله عز وجل، لقوله تعالى: {أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}.. وبما أن ذكر الله -عز وجل- في شهر رمضان متميز ومستوعب، والصائم في ليله ونهاره أقرب ما يكون إلى الذكر الإلهي؛ فإن معنى ذلك أن اطمئنان القلب في شهر رمضان، أكثر من باقي الشهور.

4. إن أفضل عمل يقوم به الإنسان في ليلة القدر بالنسبة لارتباطها بالقرآن الكريم: أن يعزم عزماً جازماً على أن يعمل بمضامين القرآن الكريم بعد شهر رمضان المبارك.. والذي هو عاكف على معاصي الله -عز وجل- عليه أن يعلم أن أداء حق القرآن الكريم، وأداء حق ليلة القدر: هو أن يكف عما لا يرضي ربه في الشهر وبعد الشهر الكريم.

5. إن السيطرة على الجوارح لا تتم إلا بالسيطرة على البواطن، والسيطرة على البواطن لا تكون إلا من خلال السيطرة على الجهاز المتحكم في الباطن، ألا وهي: الإرادة التي تكون في أرقى مستوياتها في شهر رمضان المبارك.

6. إن من المعالم الدعائية المتميزة في هذا شهر رمضان المبارك: دعاء الافتتاح، ودعاء أبي حمزة الثمالي.. فإنهما ينقلان العبد إلى أجواء متميزة من الأنس برب العالمين (تدرك، ولا توصف)!.. فهنيئاً لمن جعل الأول ورد

**أول ليلته؛ ليعمق في نفسه حالة الارتباط بالقيادة الإلهية المتمثلة في وليه الأعظم (ع).. وجعل الثاني ورد آخر ليلته؛ ليكون نورهما جابراً لكل ظلمة فيما بينهما، في ليله أو نهاره!..**

**7. إن التهيئة الفكرية للمواسم هي: أن يطلع الإنسان على أسرار ذلك الموسم، كأن يقرأ أعمال شهر رمضان المبارك قبل حلوله، ويكتب لنفسه برنامجاً كي يوفق للمحطات العبادية المختلفة.**

**8. إن المؤمن في شهر رمضان قريب إلى الله عز وجل، لئن كانت الذنوب أسقطته من عين الله في غير شهر رمضان، فإن شهر رمضان شهر المصالحة، وشهر التقرب والتودد.. وحاشى أن يدعو الناس إلى ضيافته، ثم يعاملهم معاملة غير ضيافته!..**

**9. إن شهر رمضان شهر متكامل، أي على المؤمن أن يضبط برامجه من أول ليلة، فينظر إلى أعمال الشهر كاملة.. لأنه إذا لم يبدأ من الليلة الأولى؛ فإنه لن ينتفع منه النفع المقصود.. فهذا الأجر يعطى لمن يقوم بهذا العمل، من أول ليلة إلى آخر ليلة.**

**10. يقول النبي (ص) في خطبته التي ألقاها في استقبال شهر رمضان: (أيها الناس!.. إنه قد أقبل إليكم شهر الله، بالبركة والرحمة والمغفرة)، وكأن شهر رمضان قافلة محملة بالبضائع، جاء ليعطي الصائم ما عنده مجاناً، مقابل أيام قليلة {أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ} وقد كان بإمكان الله -عز وجل- وهو المالك على الإطلاق، أن يطلب مناً صيام كل يوم، فهو خالق النفس، وخالق الطعام، فما المانع؟!..**

**11. انظر إلى التعبير القرآني الجميل {لَعَلَّكُمْ}!.. فالقضية ليست قضية تلقائية، وشهر رمضان ليس شهر التقوى بشكل تلقائي.. فليس كل من صام شهر رمضان، إنساناً يحوز على ثمرة التقوى.. وإنما يحتاج إلى أمور أخرى غير الصيام المتعارف.**

**12. إن شهر رمضان بمثابة بستان فيه أشجار، وثمرته هي التقوى، والتقوى ليس في هذا الشهر فحسب!.. وإنما التقوى على مدار السنة.**

**13. إن هناك فرقاً بين إنسان يشتاق لشهر رمضان المبارك، وبين إنسان يتمنى لو أنه يتأخر لأيام!..**

**14. إن الإنسان إذا فقد شهيته للطاعات؛ -كأن يدخل المسجد، فيشعر أنه في مكان كئيب لا يستطيع التحمل، فيصلي ويخرج بسرعة دون تعقيبات.. وفي شهر رمضان يعد الأيام عدّا، ليصل ليوم العيد- فهذه أول المصيبة.. وأما إذا رأى في نفسه حرصاً وجوعاً معنوياً: كأن يصلي الصلاة المستحبة، ولا يشبع.. ويصلي الفريضة، ولا يشبع.. ويحضر المسجد أو المأتم.. إذا وصل إلى هذه الدرجة، فليعلم أنه وصل!.. هذه الشهية المتغيرة علامة على**

أن الإنسان قد رشح، لأن يكون نديم السلطان، ورب العالمين يعرف زبائنه!..

15. إن بعض الناس لأجل كسب مادي بسيط، لأمور أرضية، يتحلى بالصبر.. فقد يصبر أربع سنوات للحصول على شهادة جامعية، أما عندما تصل القضية إلى عالم الأنفس، فإنه يتوقع أن يصل -في أربعين يوما، أو في شهر رمضان المبارك، أو في حجة، أو في عمرة، أو في موسم معين- إلى مستوى الصالحين، والذين وصلوا إلى درجات عالية من الكمال.. وهذا خلاف السنة الإلهية في خلقه.

16. إن شهر رمضان هو شهر التزكية، ببركة الصيام والمناجاة.. فمن المناسب استثمار هذه الحالة التي نعيشها؛ فإنها نعم الزاد للخروج في هذا الموسم بهذه النقلة الجوهرية!..

17. إن التحديد في العمل أمرٌ مطلوب، ولهذا الشريعة وضعت فترات من التركيز العبادي، منها: شهر رمضان المبارك ثلاثون يوماً، وموسم الحج من يوم التاسع من عرفة إلى اليوم الثاني عشر.. فالعبادات لها فترة زمنية مؤقتة، حتى يستجمع الإنسان كل طاقاتهِ وقواه.

18. إن الذكر قسمان: ذكر لفظي، وذكر قلبي.. لا بأس للمؤمن أن يتخذ ورداً بين وقت وآخر؛ فكل أربعين يوماً يختار ورداً معيناً، ويلتزم به خلال ذهابه وإيابه.. ومن أفضل الأذكار سورة التوحيد، خصوصاً في شهر رمضان؛ حيث أن تكرارها ثلاثاً بمثابة ختمة، وفي شهر رمضان كل آية بحكم ختمة.. انظر إلى العدد التصاعدي من الأجر لمن كان له قلب!..

19. هناك ارتباط وتجانس بين عشرات ثلاث: العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك، والعشر الأوائل من شهر ذي الحجة الحرام، والعشر الأوائل من محرم الحرام.. وهي بمجموعها تمثل شهراً كاملاً في كل عام.. علينا أن نتخذ من مجموع هذه العشرات المباركات، والموزعة على مدار السنة محطات لإعادة الصلة بالله -تعالى- الذي نبتعد عنه خطوة بعد كل معصية؛ لنعوض بذلك أميال البعد عنه، بخطوة جريئة إليه في كل موسم مصالحة!..

20. إن من المهم جداً أن نعيد تقييم أنفسنا من جديد، عندما يمر علينا موسم عبادي: كشهر رمضان ومحرم، لنرى ما هي العطاءات التي خرجنا منها؟.. وهل أنها كانت متناسبة مع قوة عطاء الموسم؟.. وهل أننا حافظنا على تلك العطاءات؟.. وما هو الاستثمار الأفضل لها بعد انتهاء الموسم؟.. فإن الكثير يعيش حالة الارتياح لما كان فيه، دون قلق لما سيكون عليه!.. والشيطان -كما اعتدنا عليه- حريص على مصادرة مكتسبات المؤمن في أول منعطف في حياته.. فهل نحن حذرون من ذلك؟..

21. إن من الأمور التي تكثر فيها الشكاوى، هي حالة التذبذب والمرحلية في العلاقة مع رب العالمين.. إذ أن البعض -مع الأسف- يكثف سعيه وجهده

**في مواسم معينة -كشهر رمضان مثلاً - وكأنه المطلوب منه التعبد في هذه الأشهر فقط!.. بينما المفروض للمؤمن أن تكون علاقته وطيدة مع ربه في كل الأحوال: في السراء وفي الضراء.. وفي كل الأزمنة، فلا فرق في شهر رمضان أو شوال.. وفي كل المواطن تكون حالته واحدة، فسواء كان في بيت من بيوتات الرحمن، أو في أي من ديار الله الواسعة.**

**22. إن الذين يريدون أن يصلوا إلى شهر رمضان متميز، فتحقيق ذلك يتم من خلال القرآن الكريم.. لأن الصيام -حسب الظاهر- هو: عملية كف عن الطعام، والشراب، وباقي المفطرات.. ولكن هذا الكف أو هذا الصوم يحتاج إلى منهج، وإلى خلفية فكرية؛ والقرآن الكريم هو الجزء المكمل، من خلال إعطاء الإنسان الرؤية الكونية المناسبة.**

**23. إن شهر رمضان شهر تجلي الكرم الإلهي، الكرم الذي لا حدّ له.. شهر رمضان شهر تجلي الرحمة، الرحمة التي لا حدود لها.. شهر رمضان شهر تجلي المغفرة، المغفرة التي لا حدود لها.. ولهذا يقال: من لم يغفر له في شهر رمضان، فمتى يغفر له؟.. وعن أبي عبد الله (عليه السلام): (من لم يغفر له في شهر رمضان، لم يغفر له إلى قابل، إلاّ أن يشهد عرفة).**

**24. إن القرآن الكريم أيضاً من صور الضيافة الإلهية.. فشهر رمضان هو شهر الدعوة إلى الضيافة، إذ ليس كل أحد دخل في ضيافة الله عز وجل!.. فشهر رمضان ليس شهر السحر والإعجاز، وليس كل من دخل الشهر، يكون قد دخل الضيافة؟!..**

**25. إن البعض إذا وصل إلى درجة تناسبت شهيته مع الحرام، فإنه يرتكب المنكر ويكرره في شهر رمضان وفي غيره، ولا يرى بأساً في ذلك!.. فهذا الإنسان على مشارف الكفر!.. {ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤُون}.. أوله إساءة، وفحشاء، ومنكر.. وفي الأخير إنكار لمبادئ الشريعة!..**

**26. لماذا لا نفكر أن نعمم ضيافة شهر رمضان طوال العام؟.. فنقول: (يا رب، أضفتني في هذا الشهر المبارك: وجعلت نفسي تسبيحاً، ونومي عبادةً، ودعائي مستجاباً.. أنا بعد شهر رمضان، إلى أين أذهب؟!.. لماذا لا تبقي لي هذه الضيافة من شعبانِ إلى شهرِ شوال؟!.. أبقني في ضيافتك)!..**

**27. إن على المؤمن أن يضع شعاراً لنفسه في شهر رمضان، وأن يسأل الله -عز وجل- أن يجعل شهر رمضان هذا، خير شهر مر عليه.. وليلة القدر هذه السنة، خير ليلة قدر مرت عليه!.. لأن الإمام علي (ع) قال: (مغبون من تساوى يوماه)!.. وعليه، فإن المغبون أيضاً من تساوى شهراه، والمغبون من تساوت سنتاه!..**

**28. إن الختمات في شهر رمضان أمر مطلوب، ولكن لتكن لنا ختمتان: ختمة التلاوة، وختمة التدبر.**

29. إن البرمجة ضرورية جداً، لتحقيق خير شهر رمضان مر على الإنسان!..

30. إن من صفات المؤمن كلما مرّت عليه ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك، ازداد خوفا وقلقا؛ لأنَّ كلَّ يوم وكلَّ ليلة يفقد فرصة من فرص التقرب إلى الله -عزَّ وجل-، ومن الليلة الأولى في شهر رمضان يبدأ العدّ العكسي.

31. إن شهر رمضان شهر التعارف والمصالحة مع الله -سبحانه وتعالى-، والقرآن الكريم بالنسبة إلى عامة الناس، يقول: {وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}.. فلنطبق هذه الآية في تعاملنا مع رب العالمين!..

32. إن الذي لا يعيش جو الأنس الربوبي طوال السنة، لا يمكنه بسهولة أن يعيش هذا الجو، بمجرد دخول شهر رمضان -مثلاً- ولهذا نلاحظ أن أغلب الناس صومهم لا يتجاوز صوم العوام، أي الإمساك عن الطعام والشراب.. والحال أن الصوم أرقى من ذلك!..

33. إن الناس في الدنيا أذكى الأذكياء!.. أما في التعامل مع رب العالمين، فإنهم حمقى!.. من منا أحسن التعامل مع ربه!.. من منا قطف ثمار شهر رمضان حق قطافه!..

34. إن جوف الليل مجال للحديث العاطفي والعفوي مع رب العالمين، حتى لو أن الله -عز وجل- رفع الكلفة عن عباده.. فالنبي الأكرم -صلى الله عليه وآله وسلم- لم يكن ملزماً في أصله بصلاة الليل، ولكن الله -عز وجل- أراد لنبيه أن يتميز عن باقي الأمة في هذه الوقفة الليلية!.. والإنسان في شهر رمضان من طبيعته السهر!.. فمن الحري أن يحول هذه الليالي إلى محطات أنسٍ، فإذا انتهى الشهر الكريم، لا يمكنه إلا وأن يستمر في هذا المنهج الإلهي الرباني.

35. إن هنالك مقولات ومفاهيم موطنها القلب، ولكن اشتباهاً جعلنا موطنها اللسان، وبالتالي فقدت الخواص.. مثلاً: إنسان يريد في شهر رمضان أن يغير من طعم فمه، فيشتري الحلوى.. لو أن إنساناً أخذ ورقة وكتب عليها كلمة "الحلوى" وأخذ سبحة، وأخذ يذكر الحلوى ألف مرة، ماذا سيستفيد من حلاوة الحلوى في تلك الليلة؟.. كذلك فإن الذكر والدعاء والحوقلة والاستغفار، كل هذه معانٍ قلبية؛ ولكن لأن قلوب بني آدم لا تعمل، وفيها ضمور، وشلل، وخدر، والبعض فيه موت -مثلاً- من الطبيعي أن القلب لا يتفاعل مع الدعاء.. كمن يقول: بأن الحلوى لا يمكن الوصول إليها الآن، فأذهب إلى المحل، وأنظر إلى أطباق الحلوى، وأتحسر بالنظر إليها!..

36. إن قمة الجوائز تعطى في شهر رمضان، لذا نحاول تهيئة الجو لاستقبال شهر رمضان، ليكون أوج اللقاء في ليالي القدر؛ ففي هذه الليلة يجري تغيير المقدرات.. فإذن، إن المؤمن لا ييأس من رحمة الله -عز وجل- يقول تعالى: {قُلْ يٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ

ﷲِ إِنَّ ﷲَ يَغْفِرُ ﷲلذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ ﷲلْغَفُورُ ﷲلرَّحِيمُ}؛ ونحن على أضعف تقدير عصاة، ولسنا كفرة!.. {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ﷲلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}.

37. إن البعض في شهر رمضان على الخصوص يدعو الله تعالى، ويستغفر ربه، ويتصدق، ويبكي، ويخشع، ويتضرع.. ولكن لا يرى إجابة!.. قد يكون الدعاء جيداً، ولكنه هو خلق الموانع بيده، فإذا وجد المانع فالمؤثر لا يعطي أثره؛ فلذلك الدعاء لا يؤثر.. مثل الخشب الذي لا يحترق مع وجود الرطوبة فيه.. الدعاء جيد لا نقص فيه، ولكن هذه المظلة هي التي حالت بينه وبين صعود الدعاء إلى رب العزة والجلال.. فإذن، إن الذنوب خطيرة جداً!..

38. إن المؤمن لا يبتلى بالعجب بعد إحياء ليلة من الليالي، فمن مجموع ثلاثمائة وخمس وستين ليلة، ما وزن ليلة واحدة؟!.. وإن زاد إلى عشرين ليلة أيضاً ما وزنها؟!.ـ على الإنسان ألا ينظر إلى ليالي التوفيق، بل ينظر إلى ليالي الحرمان، أين نحن في باقي الليالي والأيام؟.. لهذا نقرأ في دعاء كميل: (وسَكنتُ إلى قديم ذكرك لي، ومنِّك عليَّ).. لذا علينا أن ننظر إلى النقص لا إلى التوفيقات، (من تساوى يوماه فهو مغبون) نحن في أغلب أيام السنة على وتيرة واحدة من الغفلة.

39. إن شهر رجب وشعبان، شهران تمهيديان للدخول في شهر رمضان المبارك.. فإذا أردنا أن نصل إلى إحياء متميز في شهر رمضان -كما أراده الله عز وجل- ونصل إلى ملكوت ليالي القدر، والليالي المباركة في هذه الأشهر الثلاث المباركة.. فإن نقطة الانطلاق للمكاسب الكبرى، هي أول ليلة من شهر رجب.. فإذن، إن العملية تراكمية، وعلينا أن نتابع في هذه المواقف، لنصل إلى المراد.

40. إن هناك تدريجاً، حتى لا يفاجأ الإنسان بالكنز.. فيوم عرفة هو الكنز، وقبله مقدمات.. وليلة القدر هي الكنز، وقبلها مقدمات.. والصلاة بين يدي الله -عز وجل- هي الكنز، وقبلها أيضاً مقدمات.

41. هل طلب أحدنا من الله -عز وجل- أن يهبه عقل ثمانين سنة في ليلة القدر؟!.. عيوننا على الحور والقصور والنعيم، وهذا مضمون لكم شئتم أم أبيتم!.. الإنسان الذي يموت على الشهادات الثلاث، هو من أهل الجنة قطعاً.. ولكن تنافسوا في الدرجات!.. في ليالي القدر سلوا الله -عز وجل- هذه المضامين الراقية!.. ومن الأدعية الجميلة: "اللهم!.. اجعل لنا من لدنك نوراً نمشي به في الناس".. كذلك فإن هذا القلب يتسع بهذا الدعاء: "اللهم!.. أرنا الأشياء كما هي".. أي اجعل واقع الأشياء من دون رتوش، نحن نتعامل مع الخارج من خلال الوجود الذهني، لا الوجود الحقيقي.. أحدنا لم ير وجهه إلى الآن، إلا من خلال المرآة، والمرآة صورة ليست بواقع.. فالإنسان لا يرى واقع نفسه إلا من خلال هذه الصور، فكيف بباطنه؟!..

42. إن من أفضل الطرق للوصول إلى الله -عز وجل- خدمة العباد، فيكون بذلك مظهراً للخير على وجه الأرض.. وخدمة العباد لا تحتاج إلى خزائن

**الأرض، أو إلى حسابات سرية في البنوك، ليس الأمر كذلك!.. وإنما خدمة العباد قد تكون من خلال كلمة يفرج بها الإنسان عن أخيه المؤمن، أو إنسان ضال يأخذ بيده، وعندما يأتي إلى إحياء ليلة القدر، فليأخذ بيد إخوانه وأخواته وأقربائه!.. لماذا يأكل هذا الخير وحده؟.. فليأخذ بيد هؤلاء، نعم هذا هو الخير الذي يجريه الله على يد المؤمن.**

**43. إن وزن ليلة القدر لا يُعلم، فالقرآن عندما يصل إلى ذكر الآخرة يستعمل كلمة: {وَمَا أَدْرَاكَ}.. ففي سورة القارعة يقول: {الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ}؛ أي أن عقولكم في الدنيا لا تحتمل إدراك حقيقة القارعة.. وذلك بمثابة الجنين في بطن أمه، فهو لا يفقه نعيم الدنيا، ولا يفقه ما يجري عليه في الحياة الدنيا؛ لأنه في عالمٍ ضيق ومحدود، وطعامه من دم المشيمة، فأين هو ولذائذ هذه الدنيا؟.. وكذلك نحن الفانون لا تحتمل عقولنا ما يقال عن يوم القيامة، وأحداث ما وراء الطبيعة، والعناصر المرتبطة بعالم الخلود.. فالقرآن الكريم عندما يصل إلى ليلة القدر، يستعمل التعبير نفسه: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ}!..**

**44. إن ليلة القدر هي من منن الله -عز وجل- على أمة المصطفى -صلى الله عليه وآله وسلم-.. وذلك لأن رب العالمين يعلم أننا سوف لن نعمل في حياتنا الدنيا، ما نحقق به الدرجات العالية في عالم الجنة!.. فجعل لنا ليلة في السنة وهي {لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ}، والآية لا تقول: ليلة القدر تساوي ألف شهر، بل {خَيْرٌ}!.. يقول البعض: أن ليلة القدر تعادل ألف شهر، من قال بأنها ألف شهر؟.. لعلها ألفي شهر، أو ثلاثة آلاف شهر!.. فنحن لا ندري، والقرآن أبهم في هذه النقطة؟!..**

**45. إن ما نقوم به في ليلة القدر، لا يساوي هذا الشعار القرآني {لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ}!.. إن على الإنسان أن يعيش حالة من التوتر في ليلة القدر؛ لأنه عند مطلع الفجر لا ندري هل كُتبنا في ظل الذين غُفر لهم أم لا؟..**

**46. إن المؤمن يجعل ليلة القدر ليلة فاعلة ومتحركة، تغلب عليها: المراقبة، والذكر الواعي، والتضرع إلى الله -عز وجل-.. فالذي لا تجود عينه بدمعة في ليلة القدر، هذا الإنسان عليه أن يحاسب نفسه؟!..**

**47. إن رب العالمين جعل لنا ليلتين مقدمتين، لعل بعض الروايات تُشير بطرفٍ خفي أو جليّ، أن ليلة القدر هي الليلة الثالثة والعشرون!.. إن إحياء ليلتين قبل تلك الليلة، هي لنستعد لتلك الليلة الكبرى، وقبل شهر رمضان جعل لنا أيضاً شهرين، لنستعد لشهر رمضان.. وبالتالي، فإن هناك شهرين لنستعد لليلة القدر، وعشرين يوماً لنستعد للعشرةِ الأخيرة.**

**48. نحن نلاحظ في ليلة القدر، أن هنالك جواً من الترتيل والمناجاة والتلاوة المجردة.. وشتان بين أن ندعو، وبين أن نقرأ الدعاء!.. فالدعاء: عملية شعورية، وفاعلة، وحركة في القلب: وجلٌ في القلب، وقشعريرة على الجلد، كما يقول القرآن الكريم: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا**

مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ..}.. وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (إذا اقشعر جلدك، ودمعت عيناك، ووجل قلبك.. فدونك دونك!.. فقد قصد قصدك)!.. فالدعاء عملية واعية وفاعلة، والأئمة (ع) كانت تتلون وجوههم قبل دخول ساحة الصلاة: خضرةً، وصفرةً.. فإذن، علينا أن نحول قراءة الدعاء إلى دعاء.

49. إن دعاء الجوشن هو من أشرف الأدعية، وذلك لأن الإنسان يناجي ربه، ويدعوه ألف مرة ويقول: (الغوث، الغوث!.. خلصنا من النار يا رب)!.. وكذلك يستطيع الإنسان أن يستعين ببعض فقرات دعاء الجوشن للمناجاة مع رب العالمين، مثلاً: (يا خير من خلا به جليس، ويا خير من آوى اليه طريد).. إنها مضامين بإمكان الإنسان أن يتعامل معها، كما يتعامل مع دعاء أبي حمزة الثمالي، ولكن -للأسف- فإن أحدنا يقرأ الدعاء وهمه آخر هذا الدعاء؟!..

50. إن ليلة القدر تحتاج إلى برمجة وإلى إعدادٍ روحي!.. فالناس ليس كلهم بمستوى التفاعل من أول خطوة، وإنما هم بحاجة إلى إعداد وإلى تهيئة.. لذا علينا أن نتحايل على أنفسنا، في أن نصل إلى هذه الدرجة التفاعلية.. فـ(ركعتان مقتصدتان في تفكير، خير من قيام ليلة والقلب ساه)!.. فهذا منطق الدين: منطق الكيف، لا منطق الكم.

51. إن لكل طاعة ملكوتها، ولمن يريد أن يرى ملكوت ليلة القدر: في ليلة القدر هنالك ازدحام لحركة الملائكة في عالم الوجود، كما يقول القرآن: {تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ}.. فهل رأينا ملكاً، أو ريشة ملكٍ؟.. أين هذا الملكوت في ليلة القدر؟.. لذا فإننا من الآن نطلب من الله -عز وجل- أن يرينا هذا الملكوت، ويفتح لنا أبواب المعرفة.. لنجعل ليلة القدر في هذه السنة، خير ليلة قدر مرت علينا!..

52. إن الإنسان يقرأ في أدعية شهر رمضان: (أعوذ بجلال وجهك الكريم، أن ينقضي عني شهر رمضان، أو يطلع الفجر من ليلتي هذه، ولك قبلي ذنب أو تبعة تعذبني عليه)!.. فإذا قيل للإنسان أنه قد انقضى نصف الشهر، وهو لا يزال يراوح مكانه.. أليس هذا من موجبات الندم، والبكاء، والاستغاثة بالله -عز وجل-؟!.. فالأسبوع الأخير من هذا الشهر، هو أسبوع مصيري.. لذا علينا أن نقف وقفة تأمل مع النفس: إلى أين وصلنا؟!.. وما الذي اكتسبنا؟..

53. إن النبي الأكرم -صلى الله عليه وآله وسلم- عندما يُسأل عن أفضل الأعمال في هذا الشهر الكريم يقول: (أفضل الأعمال في هذا الشهر، الورع عن محارم الله عز وجل)!.. والورع عن المحارم، هو أمر ما فوق ترك الحرام؛ أي أن يعيش الإنسان حالة من حالات التعالي عن الحرام.. وعلامة التوبة الصادقة، أن تستقذر الحرام الذي كنتَ تمارسه!.. وأن تراه قبيحاً!.. وأن تراه مظلماً!.. إن البعض عندما يتوب توبة نصوحة، فإنه يقاطع المكان الذي كان يرتكب فيه المعاصي!..

54. حذار، حذار!.. من أن نرتكب الحرام في هذا الشهر؛ فإن الله سريع الانتقام من أن يهتك ستره في بلدهِ أو في شهرهِ.. فالذي يصوم وينظر إلى نساء المسلمين بريبة أو بشهوة، هذا الإنسان في مظان الانتقام الإلهي!.. لأنه في أيام الله، وهو يمارس المنكر؟!..

55. إن شهر رمضان، شهر الضيافة الزمانية.. كما أن الحج والعمرة هما الضيافة المكانية.. لذا علينا أن نحترس من الذنوب، ألا نقرأ في أول دعاء الافتتاح: (وأيقنت أنك أنت أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمة، وأشد المعاقبين في موضع النكال والنقمة، وأعظم المتجبرين في موضع الكبرياء والعظمة)!.. فهذا الشهر أيضاً من مواضع النكال والنقمة من الله، لذا علينا أن نراعي حرمة هذا الشهر المبارك!..

56. إن من الأمور التي نحاول أن نعقد عليها العزم، (وإن أفضل زاد الراحل إليك، عزم إرادة يختارك بها).. (وإنك لا تحتجب عن خلقك، إلاّ أن تحجبهم الأعمال دونك).. هذا أيضاً محطة بالنسبة لهذا الشهر الكريم.

57. دُعينا إلى الضيافة في هذا الشهر الكريم: فالمائدة مفتوحة، والشياطين مغلولة.. ولهذا ضيافته ضيافة متميزة، فهذا النَفَس الذي نستنشقه، والذي لا قيمة له، والذي يدخل فيخرج غازاً ساماً، وإذا به يتحول إلى تسبيح (أنفاسكم فيه تسبيح)!.. والنوم وهو الموت الأصغر، يتحول إلى عبادة، وإلى عبادة مقبولة، وذلك عندما يقول: (ونومكم فيه عبادة)!..

58. إن رب العالمين في كل سنة يختار من بيوته جماعة ولو قليلة، للإبقاء في هذه الضيافة المباركة: يتعرفون على ربهم، ويأنسون به في جوف الليل: تلاوة لكتابه، وقِيّاماً لليل ذكراً له.. فإذا انتهى الشهر المبارك في ليلة العيد، يبدأ عزاء هؤلاء، وكأنهم يقولون: "يا رب، انتهت المائدة، وإنا نخشى من أن تحرمنا هذه المائدة طوال العام".. ورب العالمين إذا رأى في الإنسان صدقاً وإصراراً، فسوف لن يُخيب له ظنه ورجاءه.

59. إن على الإنسان أن يُكثر من دعاء الفرج، فإن في فرجه فرجنا أيضاً!.. لذا على الإنسان إذا أدركته الرقة في شهر رمضان، أو في ليالي القدر، فليكثر من الدعاء لفرجه؟.. لا على نحو الترتيل المتعارف؛ إسقاطاً للتكليف، وإنما بحرقةٍ!.. وليعمل كل واحد منا مما يقربه من مودته.. فلولا لطفه لاستلمتنا الأعداء، وشملنا البلاء.

60. إن الإنسان في ليلة القدر، عليه أن يعوّل كثيراً على تغيير منعطف الحياة.. رحم الله أحد علماء الأخلاق، كان له عبارة يقول فيها: (على أحدنا أن يغير مبدأ ميله).. كل كوكب له محور، وهو يدور حول هذا المحور.. إذا كان المحور قاطعاً، فالحركة الدورانية سُدى قد تضر أكثر مما تنفع.. ولو أن محور الميل الأرضي يختلف، لاختلفت الأصول واقتربت من الشمس، وحدث ما حدث.. وكذلك فإن لكل إنسان محوراً، يدور حوله في حياته.. هذا المحور قد يكون: مالاً، وقد يكون امرأةً، فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (سيأتي على الناس زمان، بطونهم آلهتهم، ونساؤهم قبلتهم، ودنانيرهم

**دينهم...)..** **والمؤمن عليه أن يغير من هذا المبدأ.. هذه الأرض تدور حول محور، هذا المحور وهمي لا يُرى، ولكن البركات كلها في هذا المحور.**

**61. إن المؤمن في ليلة القدر، لا يكتفي بأن يقوم بالإحياء المتعارف من: صلاة، وقراءة دعاء الجوشن، وغير ذلك.. بل عليه بالآداب الباطنية، لأنه بدون هذه الآداب، لا يتقدم أنملة في حياته الروحية.**

**62. إن ليلة القدر قوتها في مقام العبادة والأجر {لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ}، و{خَيْرٌ} أي أكثر من ألف شهر.. وهذا يتوقف على مدى شغل العبد في زيارة المعصومين، أو في حج.. يقول العلماء: إن اختلاف الأجر، بحسب اختلاف طبيعة الزيارة: فزائر يُعطى حجة، وآخر يعطى أكثر، وهكذا إلى مليون حجة.. وفي ليلة القدر كذلك {لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ}.**

**63. إن أفضل الأعمال في ليلة القدر، هو طلب العلم.. ليس المسائل الفقيهة: عن الغسل، وما شابه.. إنما العلم الذي يناسب هذه الليلة، العلم المورث للخشية.. أحد العلماء الأجلاء يقول: "كل علم لا يبكيك، لا ينفعك".. أي لابد أن يكون عاقبة العلم، هو البكاء أخيراً.. الذي هو الخشية كما يذكره القرآن.**

**64. إن علامة القرب هي: أن نخرج من ليلة القدر الكبرى، وقد وصلنا إلى مرحلة تغيير المحور؛ محور الدوران.. نعم، يستطيع الإنسان أن يغير محور حياته في ثلاث ليال.. إذا كان يريد ذلك، فعليه أن لا ييأس.. فمن الذي جعل هذه الكوكب بهذه الأطنان، تمر في حركة دائبة منتظمة؟.. هو الرب: رب الآفاق، ورب الأنفس، الذي حفظ هذه المجرات والكواكب.**

**65. إن المؤمن في ليلة القدر يطلب من الله -عز وجل- أن يحقق في نفسه هذه الآية: {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ}، لأنه إذا أصبح الإيمان محبباً ومزيناً في قلب الإنسان، تكون الصفقة قد تمت وانتهى الأمر.. فعندها يرى الإيمان ليس من باب التكليف، ولا خوفاً من نار جهنم، ولا خوفاً من الفضيحة الاجتماعية، ولا طلباً للحوائج.. -إن هناك أناسا يتدينون من باب: أن في التدين يأتي المال، وتأتي العزة- لا، ولكنه يرى الإيمان حبيباً إلى قلبه، فيتلذذ بالإيمان.. هناك صنف من الناس على وجه الأرض هذه الأيام، لو رفع عنهم تكليف الصلاة مثلاً، مستحيل أن يترك الصلاة.. لأن الصلاة جميلة في قلبه، وليست قضية تكليف أبداً.**

**66. إن النقطة الأولى الجوهرية ليلة القدر: أن نطلب من الله -عز وجل- أن يحول إيماننا من إيمانٍ خوفيٍّ، ومن إيمانٍ رجائي؛ إلى إيمان أمير المؤمنين (ع) الذي يقول: (ربي!.. ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك.. ولكني رأيتك أهلاً للعبادة، فعبدتك)، وكان يأتي إلى المسجد ويقول: (جلوسي في المسجد، أحبّ إليّ من جلوسي في الجنّة.. لأنّ الجلوس في المسجد رضا ربّي، والجلوس في الجنّة رضا نفسي.. ورضا ربّي أولى من**

**رضا نفسي).. هذه موازين علي (ع) في التعامل!.. فلنغير من هذه الموازين، ولنخرج من ليلة القدر الكبرى، وقد تغيرت سجيتنا.**

**67. إن أغلب المؤمنين في شهر رمضان يتركون الحرام: المواقع، والفضائيات، والنظر.. وبعد ليالي القدر، لا يميلون إلى ذلك.. ولكن بعد ذلك، فإنهم يعودون إلى ما كانوا عليه.. علينا أن نقاتل جنود الهوى، وجنود السلطان.. والإنسان عليه أن يصل إلى درجة، لا تدعوه نفسه للمعصية، ولا تهمه المعصية.**

**68. إن هنالك في السنة محطات توسلية: مناسبة الفاطمية، ومحرم، وصفر، وعزاء أمير المؤمنين.. فلماذا لا يكون لدينا محطة مناجاتية؟.. فالقراءة الاسترسالية لدعاء الجوشن بشكل مملول منه؛ هذه ليست محطة مناجاة إلهية.. إذ لابد أن تكون لنا وقفة كوقفة الحجاج في يوم عرفة، فالحج كله أعمال: سعي، ورجم.. ورب العالمين قال لهم: بالمقابل اجعلوا لي محطة، وتحدثوا معي.. فالرمي والسعي والطواف لا يوجد فيها أي روحانية!.. فهل تشاهدون أحداً يحكي في السعي، أو في الجمرات؟.. ولكن يوم الوقوف بعرفة هناك هدوء، لا يوجد أي عمل.. حتى إذا نام إنسان، شرعاً حجه صحيح.. يوم عرفة يوم وقفة، وليالي القدر أيضاً ليالي وقفة.**

**69. إن على المؤمن أن يكون وفياً لإمام زمانه (عج)، فـ(بيمنه رزق الورى، وبوجوده ثبتت الأرض والسماء).. في ليلة القدر، من لا صلة له بإمام زمانه، ومن لا يطلب له الفرج؛ هناك شك في قبول عمله!.. كيف تنزل الملائكة على إمام زمانه في هذه الليلة، وهو لا يتوجه إليه بالخطاب، والحديث معه!..**

**70. إن علينا التوجه إلى الإمام (عج) بالدعاء والفرج، وإذا أدركتنا الرقة فلنقل له: يا مولاي!.. نحن الليلة دعونا لك بالدموع الجارية، ونحن في عزاء جدك أمير المؤمنين.. فكما دعونا لك، أنت أيضاً أدعوا لنا.. فالولد يدعو لأبيه، والأب يدعو لولده.. وكلنا أيتام آل محمد، والنبي (ص) قال: (أنا وعلي أبوا هذه الأمة).. فالإمام هو أبونا في هذا العصر، ونحن نعيش غيبته وفراقه، ونندبه في أيام الجمعة.. ونقول له: يا مولانا!.. هذه الليلة أنظر إلينا نظرة كريمة، لا لذواتنا بل لما نحمله من الحب لآبائك الطاهرين.**

**71. إن علياً (ع) استشهد في ليلة الجمعة، وفي ليلة من ليالي القدر.. وعلينا أن نكون أوفياء له فيما رسمه وخططه لنا، فلنعاهد الله –عز وجل– على بعض المبادئ!.. فبعد شهر رمضان تُرفع المائدة الإلهية، ونخرج من هذه الضيافة، والشياطين المغلولة تفتح أغلالها لتنتقم منا، وتصادر مكاسبنا!.. فالإنسان كلما زاد إيماناً، كلما زاد طمع الشياطين فيه.. الشيطان يريد زبائن مؤمنين ملتزمين، وإلا فإن الذي يرخص بنفسه، لا يحتاج إلى طبل ومزمار.**

**72. إن الشيطان يتلذذ في أن يغتال ضحيته.. وعليه، فإننا نرى أن شهر شوال هو شهر الانتكاسة.. لأن قبل شهر شوال هناك شهر رمضان، وقبله**

شعبان، وقبله رجب، وقبله أيام الفاطمية، والربيعين، وصفر، ومحرم، وذو الحجة.. وهذه الأشهر كلها فيها محطات عبادية.. فهذا الشهر شهر الجفاء، وشهر الإدبار، وشهر الانتكاسة.. وبالتالي، فإنه علينا أن نستعد لمواجهة هذه الانتكاسة!..

72. إن رب العالمين الغني عن الخلائق، يفرح بالعبد التائب.. عن أبي جعفر (ع) يقول: (إن الله -تعالى- أشد فرحا بتوبة عبده، من رجل أضل راحلته ومزاده في ليلة ظلماء فوجدها.. فالله أشد فرحا بتوبة عبده، من ذلك الرجل براحلته حين وجدها)!.. كم فرح هذا الإنسان الذي وجد النجاة بعد اليأس!.. يقول: رب العالمين أشد فرحاً بتوبة هذا الإنسان وهو الغني عن الخلائق.. رب العالمين في عرشه في مقعد الصدق، عنده النبي وآل النبي، ما شأنه بي وبك؟.. ولكنها التوبة!.. لنحاول هذه الليلة ببركة شهيد هذه الليلة الإمام علي (ع)، أن نتوب إلى الله –عز وجل– توبة نصوحة.. ولكن المشكلة في العود (فَكَمْ أَتُوبُ وَكَمْ أَعُودُ)!.. إن الله -عز وجل- يقول في كتابه الكريم: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ}، ولكن عندما يصل إلى التائبين يقول: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}.. فرب العالمين يحب عباده، والمجالس الحسينية من مظان الرحمة الإلهية.

73. إن من المظاهر المتعارفة في شهر رمضان هو كثرة الولائم والإطعام، ومن المعلوم أن ذلك من المستحب شرعاً.. وقد ورد عن النبي (ص): (اتقوا النار ولو بشق تمرة، اتقوا النار ولو بشربة من ماء)؛ مبالغة في الحث على إطعام الصائمين.. والنصيحة هنا: أن يتخير الإنسان الجهات التي يدعوها، مراعياً قضاء حاجة لأخيه المؤمن، بقصد القربة لله عز وجل.. فالإنسان عندما يريد الإطعام؛ عليه أن يختار من يطعمهم في شهر رمضان: فإن كان هنالك إنسان منقطع، أو إنسان أعزب، أو إنسان في ضيق ويحتاج إلى من يدخل عليه السرور، فهذا مقدم على من لا يحتاج إلى مثل هذه المجالس، بل يمنّ عليك بالحضور.. إذن، كذلك حاول أن تعمل بهذا الأمر، ومراعاة لجميع الجهات.. فما قيمة الإطعام الذي يراد به المباهاة والتفاخر وإظهار الفخر.. وقد ورد: "أخلص العمل، فإن الناقد بصير"!..

74. إن ليلة القدر هي ليلة اليقظة، فمن قُبل دعاؤه؛ يُرجى ألا يموت قلبه يوم تموت فيه القلوب.. قسم من هذهِ الليلة نمضيها في التفكر، وفي التدبر، وفي التأمل في حياتنا، وفيما نحنُ فيه، وأين نقاط الخلل في علاقتنا: مع الله، ومع الأهل، ومع المجتمع، ومع الأولاد، ومع الأرحام.. ويا حبذا لو أن أحدنا أخذ ورقة وقلماً، ورسم مجمل حياته للسنة القادمة بإذن الله.

75. إن رقة القلب، وغزارة الدمع، ليست متواصلة طوال السنة.. كما أن قيمة الإيمان تعرف في القبر وفي البرزخ وفي القيامة، كذلك الإيمان له قيمة في ليالي القدر.. فأصحاب السحر هذهِ الليلة بالنسبة لهم هي ليلة الطيران، أما الغافلون فإنهم لا يدركون حقيقتها كما ينبغي.. ولكن حتى الذي لم يتقن هذهِ الليلة، عليه ألا ييأس -إن شاء الله- سيعوض بمنهِ

**وكرمه.. عن الصادق (ع): (إذا اقشعر جلدك، ودمعت عيناك، ووجل قلبك، فدونك دونك فقد قُصِدَ قصدُك)!.. إذا صار اتصال بين القلب والعرش، فإن كلمات قليلة تكفي، ورب العالمين لا يحتاج إلى كلام كثير.**

**76. نحن لا نكتفي بعنوان التشيع، هذا العنوان فخرٌ لنا في الدنيا والآخرة؛ ولكن المهم هو الالتزام بلوازم هذا الرضوان.. إن هذا الحب المتوقد بالفؤاد للنبي وآله، هذا الحب رأس مال عظيم؛ فلنسأل الله -عز وجل- في ليالي القدر، أن يبقيه معنا إلى ساعة الاحتضار.. المؤمن قد يلاقي ربهُ بأعمال بسيطة، وعليهِ بعض التبعات، ولهُ بعض الذنوب، وقد يكون سبباً في غواية الآخرين.. ربما يكون التعويض صعباً؛ ولكنه ممكن.. لذا، يجب عدم اليأس من رحمة الله عز وجل.**

**77. إن الحياة كلها خزائن، وكلها فرص؛ ولكن خصوص شهر رمضان، أن الخزائن فيه مفتحة أكثر.. والشيطان يغوي الإنسان بالطعام والشراب والمنام؛ لئلا يخرج من هذا الشهر بفائدةٍ كبرى.**

**78. إن هناك فرقاً بين عالم الملك وعالم الملكوت.. إن ربّ العالمين يمنُّ على إبراهيم -عليه السلام- بأنه يريه ملكوت السموات والأرض، {وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ}.. فهذا الصيام ملك.. أما الملكوت فشيء آخر!..**

**79. إن صوم العوام، هو الكفّ عن الطعام والشراب؛ أي حركة بدنية.. والحج بمعنى طواف البيت والسعي والرمي، والصلاة بمعنى الركوع والسجود والتكبير والتشهد والتسليم؛ كذلك هي حركات بدنية.. ولهذا بعض الناس -مع الأسف- يقول: من فوائد صلاة الفجر، أنها رياضة صباحية.. هذا صحيح صلاة الفجر والصلوات اليومية، إن جردت من المضامين ومن الروح التفاعلية، لم تعدُ أن تكون حركات رياضية.. والحج والصوم كذلك.**

**80. إذا لم يدخل الإنسان إلى ملكوت العبادات؛ فإنّ هذه العبادات سوف لن تعطي ثمارها.. وذلك لأن الاطمئنان هو ثمرة الذكر {أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}، فالاطمئنان متعلقٌ بالقلب.. و(الصلاة معراج المؤمن)؛ ولكن ليس هناك من يعرج إلى السماء، وإنما الذي يصعد إلى الملكوت الأعلى هي الروح.. وعليه، فإن الذي يريد أن يحقق خاصية في القلب؛ لابدّ وأن يقوم بأعمال القلب.. أي يجب أن يكون هنالك حركة في الباطن، لا حركة في الظاهر.. فالصوم له ملك، وهو ما يقوم به الصائم من الصباح إلى المساء، وبعض الأوقات الأطفال يشتركون في هذه العملية.. وبالتالي، لابدَّ من البحث عن صوم من نوع آخر، ألا وهو صوم الخواص.**

**81. إن صوم الخواص، هو أن يعيش الإنسان حالة المحضرية لله -عزّ وجلّ-.. المحضرية التي تردع الإنسان عن المعاصي والذنوب، وهذه طريقة من طرق الردع عن المعاصي والذنوب.. حيث أن هنالك طرقاً للتخويف، ومنها: التخويف بنار جهنم، والتخويف بالعقارب والحيات؛ ولكن هذه الطريقة غير ناجعة في أغلب الأحيان.. وذلك لأن الإنسان الذي يريد أن يتمتع بعاجل**

المتاع، عندما يخوّف بالعقارب والحيات بعد ملايين السنين، يقول: أستمتع بالدنيا أيام الشباب، ثم بعد ذلك أستقيم في مشيتي، وأذهب إلى الحج، وإلى العمرة.. وبذلك أجمع بين الجنة، وبين المتاع العاجل.

82. إن من يريد أن يكون في محضر الله -عزّ وجلّ- مستمتعاً بالقرب منه، عليه أن يبرمج نفسه منذ أول الشهر الكريم -مثلاً- كي يحقق في هذا الشهر ما لم يحققه في السنوات الماضية، فيحدث نفسه: يا نفس، إلى متى تكررين المكرر، وإلى متى تعيدين سيرة الحياة؟..

83. إن صوم خواص الخواص، هو أن يصل الإنسان إلى مرحلة لا يرى في الوجود مؤثراً ولا مالكاً إلا هو، أزمة العباد كلها بيده.. الإنسان الذي يقف أمام بعض أهل الدنيا من الذين يخاف من سطوتهم، وقلبه ينبض سريعاً، فليعلم أنه ليس على خير!.. كيف يخاف الإنسان من عبد مسكين مثله، وإن كان عليه ما عليه من الهالة الكاذبة؟!.. من في هذا الوجود له وزن في قبال وجود رب العالمين؟..

84. إن النبي (ص) لم يذكر خطبته في استقبال شهر رمضان، في منتصف شهر رمضان، ولا في أواخره، بل ذكرها في شهر شعبان على مشارف شهر رمضان.. لأنه أراد أن يعلمنا درساً، ألا هو: أن على المؤمن أن يتهيأ للحدث الروحي والعبادي قبل أن يدخل فيه.. البعض -مع الأسف- يتفاجأ بالمواسم، من دون إعداد مسبق لها!..

85. إن المؤمن قبل كل موسم، عليه أن يتزود روحياً، ويحاول أن يهيئ نفسه لتلك المناسبة تهيئة نفسية وفكرية.. التهيئة الفكرية هي: أن يطلع على أسرار ذلك الموسم، كأن يقرأ أعمال شهر رمضان المبارك قبل حلوله، ويكتب لنفسه برنامجاً كي يوفق للمحطات العبادية المختلفة في هذا الشهر المبارك.

86. إن النبي (ص) قال في استقبال شهر رمضان: (أيّها الناس!.. إنّه قد أقبل إليكم شهر الله؛ بالبركة، والرحمة، والمغفرة).. تارة الإنسان يقبل على شخص، يزور شخصية من شخصيات البلد سياسة كانت أو اقتصادية، فهذه الشخصية ليست ملزمة بشيء، قد تستجيب له وقد لا تستجيب.. ولكن إذا هذه الشخصية هي التي أتت بنفسها وطرقت باب البيت، فإن ذلك يكون لغرض ولحكمة؛ لذا على الإنسان أن يغتنم الفرصة إن كانت لديه حوائج وطلبات.. فلا يفوت الفرصة، ما دام هو ضيفاً عليه!.. رب العالمين كأنه حل ضيفاً علينا -جل جلاله- الوجود كله برمته له، ولكن العلاقة بين الرب وبين عبده علاقة عجيبة!..

87. عندما يُقبل علينا الرب في شهر رمضان، معنى ذلك أن الحسابات تتغير.. الحسابات دقيقة، ورب العالمين لا يغفر إلا ضمن شروط، والتوبة المقبولة هي التوبة النصوح؛ ولكن في شهر رمضان المبارك، الموازين مقلوبة رأساً على عقب.. مثلاً: إن الشريعة تذم النوم الزائد، قال رسول الله (ص): (قالت أمّ سليمان بن داوود لسليمان: يا بنيّ!.. وإيّاك وكثرة

**النوم باللّيل، فإنّ كثرة النوم باللّيل تدع الرجل فقيراً يوم القيامة).. والنوم هو الموت الأصغر، وهو الجمود، وقتل الطاقات؛ ولكن في شهر رمضان تقلب الموازين: النائم في شهر رمضان في حال عبادة مستمرة؛ ولهذا لو نام الصائم في شهر رمضان زيادة عن متعارف الأيام نومه فيه عبادة.. الزفير والشهيق هما عبارة عن دخول غاز طيب، وخروج غاز سام.. وإذا بشهر رمضان يحول هذا النفس الذي لا قيمة له في عالم المادة إلى تسبيح.. أين التسبيح وأين النَفَس؟..**

**88. نحن لم نعرف قدر شهر رمضان، ومن هنا جاءت الآية في سورة القدر {وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ}؛ أي أيها البشر، البيان عاجز عن بيان أهمية هذه الليلة.. الضيافة الإلهية الكبرى في ليلة القدر، هي قمة الضيافة، وكلمة {وَمَا أَدْرَاكَ}؛ أي يا رسول الله لا تسألني عن ليلة القدر.. ولكن المهم أن يقلل الإنسان الخسارة.. يوم القيامة يؤتى بالعبد، تفتح له صناديق وهذه الصناديق هي عبارة عن ساعات العمر: بعض الصناديق نتنة، وهي ساعات المعصية.. وبعض الصناديق معطرة، وهي ساعات الطاعة.. ولكن -مع الأسف- أغلب الصناديق خالية: لا خير ولا شر.. يأتي إلى المسجد قبل المجلس بنصف ساعة، يجلس في زاوية، لا يذكر الله، ولا يقرأ الدعاء، ولا يصلي ركعتين، ولا يفكر في ماضي أمره ومستقبله.. بل ينظر للسقف تارة، وللفرش تارة، وللمنبر تارة.. هذه ساعات العمر، أليست هي خسارة، فمتى نتدارك الأمر؟!..**

**89. جاء في الحديث عن الرسول الأكرم (ص): (صوموا تصحوا)!.. هنا لا ينبغي أن نحصر معنى كلمة (تصحوا) في هذه الرواية بالصحة الجسدية فقط، وإنما يفهم من المعنى أيضاً مسألة الصحة النفسية من خلال الصوم.. فالقضية لا تحتاج إلى تخصص طبي، لنفهم أن حاجة البدن للطعام هو أقل بكثير مما نأكله نحن.. وحسب كلام الأطباء: أن قمساً كبيراً من هذا الطعام الهنيء -وقد يكون من الطعام الذي ينفق بإزائه أموال كثيرة من الطعام الفاخر، كطعام الملوك والسلاطين- يمر من خلال الأمعاء كأي مجرى، ثم يؤخذ منه المقدار اللازم، ويعد قليلاً بالنسبة إلى ما هو موجود.. أي أن هذا الجدول الذي نصب فيه هذه الكمية من الطعام، فإن المطلوب منه أقل بكثير مما هو يمر من خلال هذا الجدول التي هي الأمعاء.. فيأتي الصوم لكي ينظم هذه العملية، ويثبت للإنسان أن بإمكانه أن يعيش على أقل من ذلك.**

**90. إن الصوم من موجبات هدوء الإنسان.. إذ أن الإنسان الصائم كونه في حال طاعة وعبادة، فعندما يعيش حالة العطش -وخاصة في أيام الصيف في البلاد الخليجية الحارة مثلاً، وخاصة إذا كان عمله في الشمس- وعندما يرى بأن هذه العملية في إطار الطاعة الإلهية؛ فإنه يتلذذ بهذه الحالة، ويرى نفسه قريباً من الله عز وجل.. وهذا الإحساس بالقرب وبالضيافة الإلهية، تمنعه من القيام بعملية الحدة والغضب وما شابه ذلك.. وهذا عكس ما يروج: بأن الإنسان الصائم، أقرب ما يكون إلى حالة الغضب وغيره.**

**91. ورد عن النبي الأكرم (ص) قوله: (ليس من البر الصيام في السفر).. فالشريعة قائمة على التعبد في قسم كبير منها، ونحن إذا عملنا بالأحكام الشرعية بعد معرفة فلسفتها، فعندها لم يعد الأمر احتراماً للحكم الإلهي.. ولذا فإن الإنسان المؤمن إنسان متعبد، يسلم لكل ما جاءت به الشريعة، بغض النظر عن فلسفة الحكم.. ومن المعلوم أن الجندي المنضبط، هو الذي يمتثل أمر القائد في المعركة، رغم عدم قناعته أو عدم فهمه لفلسفة الأحكام، وهنا يعرف الجندي المطيع من غيره.. طبعاً نحن لا نسد باب البحث العلمي، والتفكير في فلسفة الأحكام، ولكن لا ينبغي أن يعلق الإنسان الطاعة على معرفة فلسفة الحكم.**

**92. إن هناك نوعاً من أنواع التلقين!.. فالذي يلقن نفسه حالة الحدة والبلادة الذهنية في شهر رمضان؛ فإنه من الطبيعي أن يؤول أمره إلى ذلك، بينما الصحيح هو عكس ذلك.. إذ أن هناك من عندما يكون صائماً -طبعاً الجوع المعقول، ليس الجوع المرهق جداً الذي هو مقدمة للإغماء مثلاً- يلاحظ أنه في هذه الحالة يفكر تفكيراً جيداً.. وبمجرد أن يأكل الطعام -وخاصة وجبة الغذاء الثقيلة- يلاحظ وكأنه شمعة وانطفأت!.. ويشعر بحالة من حالات الكسل البدني، والفتور الذهني.**

**93. ينبغي عدم تفويت لحظة قبل الإفطار، واستغلالها في الدعاء.. وهنالك دعاء مطول في كتاب الإقبال له من الفضل الكثير.. فكم من الجميل أن يقف الإنسان قبل الإفطار ليدعو ربه دعاءً خفيفاً!.. لماذا نجعل الدعاء عند الإفطار بشكل سريع، ونقرأه لقلقة؛ مقدمة للطعام؟!.. إذ بإمكان الإنسان أن يصلي صلاة خاشعة قبل الإفطار، ويدعو بشكل معقول، فيأخذ غذاءه الروحي أولاً، ويلتمس حاجته من ربه، ثم يفطر بالطعام.. إلا إذا كان مدعواً على مائدة، فإن هناك أمراً شرعياً بعدم تأخير الدعوة.**

**94. إن البعض يقول: الحمد لله في شهر رمضان نحن في راحة، الشياطين مغلولة.. أولاً: "الشياطين مغلولة"، قد يكون بمعنى أن الشياطين في شهر رمضان، ليست لها حرية التحرك، ولكن في شهر شعبان شحن الإنسان بما فيهِ الكفاية.. الشيطان يدهُ مغلولة، ولكن هل سفارتهُ مغلقة؟.. لا، سفاراته موجودة، وسفير الشيطان الهوى.. إذ يكفي وجود الهوى، عندها لا داعي لوجود الشيطان معنا في كُلِّ ساعة، فهو ربى وليداً حقيراً صغيراً في وجودنا {أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلا}.. هذا الإله يحركنا يميناً وشمالاً، لأن {إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ}.. ماذا نصنع؟.. ليس لنا إلا أن نستجير بالله عز وجل، فالإنسان ضعيف جداً، والحرب غير متكافئة، {إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ}، يأتي يميناً شمالاً {قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ}، {قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}.**

**95. إن شهر رمضان فيه جانب عبادي، وفيه جانب تربوي واجتماعي ومالي.. فهو يختم بخدمة عباد الله عز وجل.. الطاعات والعبادات كلها في جانب، ولكن في يوم الفطر نتوج ونكلل جهودنا بالنجاح والصيام، بأن نخرج زكاة الأموال.. فالشريعة شريعة جامعة مانعة.. والذي ينمو في جانب،**

**ويضمر في جانب، هذا الإنسان وجود غير متزن.. فالشريعة محفوفة بالعبادات وبالماليات: الحج فيه إنفاق مالي، والكفارات فيها إنفاق مالي.. والإخلال بالقسم، وبالنذر، وبالعهد.. كذلك هناك في المقابل مع الاستغفار، إطعام ستين مسكيناً، أو عشرة مساكين، أو تحرير رقبة.. فالإسلام يريد من الإنسان أن يسير في طريقين: طريق العبودية لله -عز وجل- أولاً، وخدمة الناس ثانياً.**

**96. إن ليلة العيد تعتق رقاب من النار، ما أعتقت في شهر رمضان، فهي ليلة من الليالي المهمة جداً.. لذا على الإنسان أن يعيش مشاعر الإنسان الذي يطلب الجائزة.. فيطلب من الله -عز وجل- في تلك الليلة أن يتصرف في فؤاده.. ورب العالمين يربط على قلب المؤمن إذا شاء، ويزيده نوراً إذا شاء {وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ}.. إن الليلة الأولى من شوال ليلة مصيرية ومهمة، ولكن أغلب الناس يغفلون عنها، ويفرحون إذا ثبت هلال العيد، ويحزنون إذا لم يثبت.. والحال بأنه لو لم يثبت العيد، عليه أن يفرح، ويقول: الحمد لله الذي أدركنا ليلة أخرى من ليالي شهر رمضان.. إذا أراد الإنسان أن يعرف حبه للشهر الكريم، فلينظر إلى قلبه في ليلة العيد: إن كان يحب العيد، معنى ذلك أن هذا الشهر كان ثقيلاً عليه.**

**97. لا تنسوا المعوذات اليومية بين الطلوعين.. فالشياطين تحوم حول قلوب بني آدم (لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم، لنظروا إلى ملكوت السماوات).. عوّذ نفسك في كل صباح، قبل أن يوسوس الشيطان ويضع لك الفخاخ، وخاصة قبل انتهاء شهر رمضان.. فالشياطين حقودة ومتكبرة وحسودة، تريد أن تصادر كل مكتسباتنا في شهر رمضان، وشهر عزاء أمير المؤمنين، وإحياء ليالي القدر!..**

**98. إن سبب زوال الحالات الروحية؛ هو عدم تقديرها.. فالذي يعطى في ليلة القدر هذه الهبات الروحية، وفي النهار يرتكب ما يرتكب من بعض المحرمات، أو الغفلات.. فإنه من الطبيعي أن يعاقب بسلب هذه الحالة.. هذه الأيام الناس متورطون بالأمراض العجيبة: من السكر، والضغط، ومن الكآبة.. بالرغم من توفر كل وسائل الحياة العصرية.. وقد ورد في الحديث الشريف: (إذا وجدت قساوة في قلبك، وحريمة في رزقك، وسقماً في بدنك.. فانظر لعلك تكلمت فيما لا يعنيك).. كل هذه البلاءات من وراء الكلام الهذر، والكلام الكثير، والدخول في كل ما هب ودب، والتكلم في كل ما يعني ولا يعني.. فإذن، إن الذي يُعطى هذه الهبات الروحية ولا يقدرها بشكل جيد، من الطبيعي أن يحرم هذه البركات مرة أخرى.**

**99. من الضروري للمؤمن أن يرفع من مستوى طموحه، فلا يكون همه مجرد أن يحوز على المغفرة من رب العالمين.. فالمغفرة من المفروض أنه قد أخذها في أول ليلة من ليالي شهر رمضان، ففي الليلة الأولى لله عتقاء من النار.. بل ينبغي أن يطمع في رضوانه، وفي درجات الكمال، وفي ذلك النور، وفي هذه الدرجات التي يغفل عنها أهل الأرض، حتى المسلم العادي، فلا يفكر أكثر من شهوة بطنه وفرجه!..**

100. إن البعض يقيس توفيقه في ليالي القدر بكثرة البكاء والتضرع.. والحال أن المطلوب هي حالة الإنابة والتوبة الصادقة، والندامة على ما مضى، والبرمجة لحياة جديدة، ولو اكتفى صاحبها بالتباكي، والتخشع.. فإن الله -تعالى- لا ينظر إلى صورنا وأبداننا، وإنما ينظر إلى قلوبنا.. ومع ذلك فإنه قد ورد أنه: (ما جفت الدموع، إلا لقسوة القلوب.. وما قست القلوب، إلا لكثرة الذنوب).. أما الذي يبكي ويصيح بما لا يعهد، ثم في النهار أو بعد شهر رمضان يعود إلى ما كان عليه، فما قيمة هذا البكاء في ليلة القدر؟!.. وعليه، حاولْ أن تعيش أجواء الإنابة إلى الله عز وجل.. وأفضل الأعمال أن تتوب، وأن تنيب، وأن تصفي الحساب مع الله عز وجل، وتعاهد رب العالمين أن تجعل عامك القادم خير عام مر عليك.